الفصول الأربعة

مجلة فكرية ثقافية تصدر مرة كل ثلاثة أشهر عن رابطة الأدباء والكتاب الليبيين

ملف العدد: واقع أدب الطفل في ليبيا

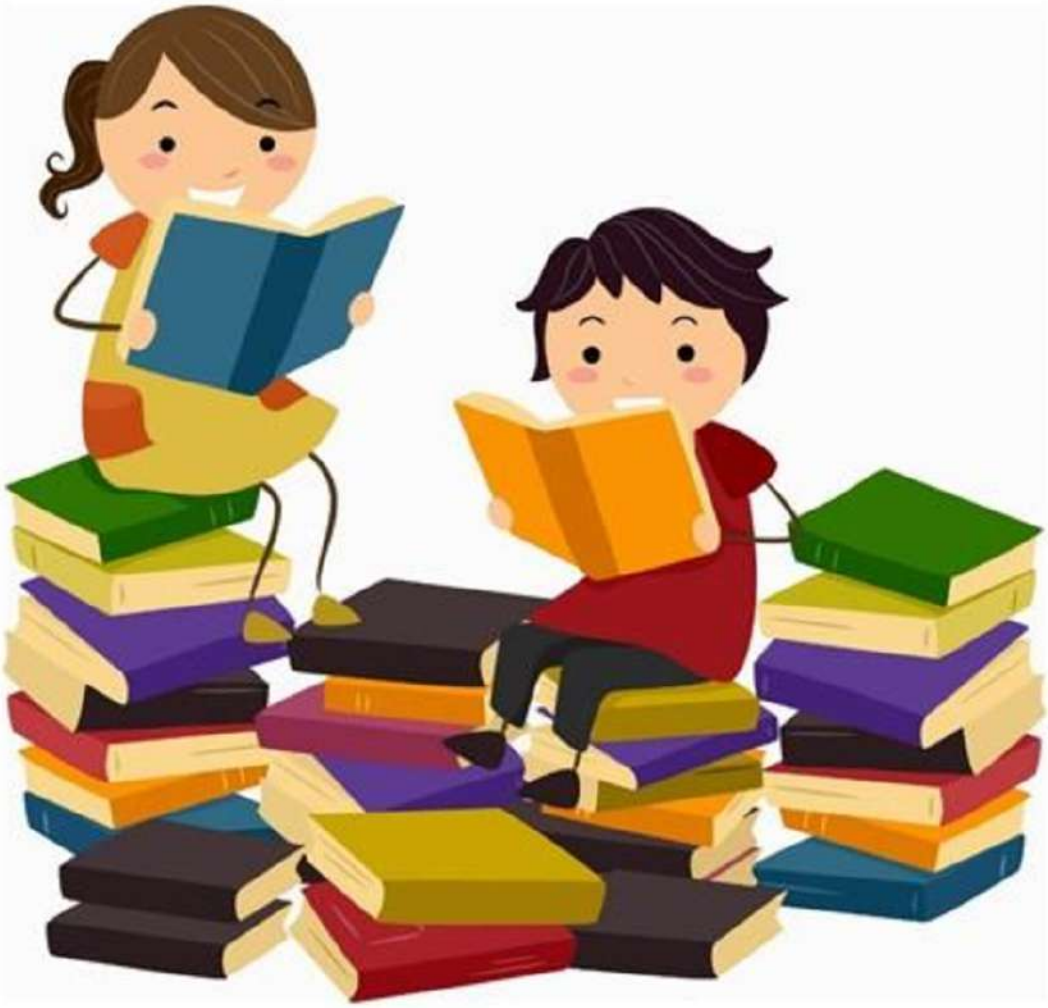

أنسنة الحيوان في قصص خليفة حسين مصطفى

أدب الاطفال بين التدمير أو التطوير

الشاعر عاشور الطويبى والإنصات إلى هسيس الطبيعة والكائنات

عن الحضارة والجنون بلسان: ميشال فوكو

العدد 133 السنة 34 أبريل – ربيع 2022

احتدام الواقع وأثره في صناعة الشعر
أنطولوجيا "غزّة أرض القصيدة" نموذجًا

فراس حج محمد (فلسطين)

مقدّمة: التباس المصطلح

في البداية أودّ أن أنوّه إلى أنّ هناك خلطاً في العنوان أعلاه بين مصطلحين هما: "أنتولوجيا " (Anthology)الذي يعني "المقتطفات الأدبيّة المختارة" و"أنطولوجيا (Ontology) " الذي يعني "علم الوجود" 1. وقد وقع المحرّر محمّد تيسير في هذا الخلط، كما وقع غيره، ممن قاموا بمثل هذا العمل 2. ولا فرق في هذا الالتباس أكان المصطلح بالتاء "أنتولوجيا" أو بالطاء "أنطولوجيا."

يورد أحمد مختار عمر المصطلح بالتاء، "الأنتولوجيا" ويعرّفه بقوله: "أنتولوجيا: مجموعة من مختارات شعريّة أو نثريّة أو موسيقيّة" 3. فالخلط على ما يبدو جاء من لفظ(th) (t) ، ومن ثَمّ تفخيم التاء طاء، فصار المصطلح "أنطولوجيا" 4، فانتقل إلى حقل آخر، وقد أشار موقع الويكيبيديا إلى وقوع مثل هذا الالتباس في المصطلح عند الاستعمال 5. وما يدلّل على هذا الانزياح في تعريب المصطلح على هذه الشاكلة إيراد المصطلح صحيحاً على الغلاف باللغة الإنجليزيّة (Anthology Poetry) في كتاب محمّد تيسير "غزّة أرض القصيدة."

ماذا سيخسر الكتّاب والمؤلّفون العرب والفلسطينيّون لو استخدموا المصطلح العربي المعتمد في كتب التراث "مختارات" أو "منتخبات" أم هي عقدة الجري وراء المصطلح الأجنبي؟ لقد شاع هذا النوع من الكتب شيوعاً كبيراً في حركة التأليف عند العرب، منها قصائد المعلّقات، والأصمعيّات والمفضليّات، وكتب الحماسات، وغيرها الكثير، واستمرّ ذلك إلى الآن.

ووجد مثيله في مطلع النهضة العربيّة الحديثة فألّفت كتب مهمّة منها على سبيل المثال كتاب "المنتخب في أدب العرب" الذي جمعه وشرحه نفرٌ من أدباء مصر الكبار وهم: طه حسين، وأحمد الإسكندري، وأحمد أمين، وعلي الجارم، وعبد العزيز البشري، وأحمد ضيف .

وعلى أيّ حال، ليس مهمّاً هذا النقاش الآن كثيراً إلّا من باب لفت الانتباه، وليتركّز الحديث حول ما هو أكثر جدوى، وهو أنّ "الأنثولوجيا" فعل نقدي في الأساس، قد تحكمه أسس معيّنة، وقد يكون تابعاً لذاتيّة من يختار تلك القصائد لمجرّد أنّه وجد تلك القصائد تشبع رغبته وذائقته، ولا خلاف على شرعيّة ذلك مطلقاً، كما فعل فاروق شوشة في كتابيه؛ "أحلى عشرين قصيدة حبّ في الشعر العربي" و"أحلى عشرين قصيدة في الحبّ الإلهي"، إذ لا معايير تحكم العملين سوى ذائقة الشاعر شوشة نفسه.

قد تحاكم هذه "المقتطفات" على أساسين نقديّين الأول مجمل المنتخبات بوصفها وحدة واحدة، وما تؤدّيه من هدف، وأما الآخر فهو سويّة الوحدات الداخلة في بناء تلك المنتخبات كل وحدة/ نصّ على حدة، وما تمثّله من فكرة وأسلوب داخل العمل الكليّ، وموقع أصحابها في تمثيل الفكرة المتمحور حولها العمل.

الأنتولوجيّات في الأدب الفلسطيني:

لعلّ القضيّة الفلسطينيّة وما نتج عنها من مآسٍ وحروب، قد دفعت الشعراء إلى الحديث عن كثير من القضايا، والتقت مشاعر الشعراء وتحرّكت لتكتب في الموضوعات ذاتها، ولذلك وجدت مجموعة من الأنثولوجيّات التي تحاول أن تجمع الشعر المتّفق حول قضيّة معيّنة أو لتؤكّد حضور هذا الشعر أوّلاً في فترة ما قبل الاحتلال الصهيوني لفلسطين؛ كما هو الحال في كتاب الشاعر سميح القاسم الذي جاء تحت عنوان "مطالع من أنتولوجيا الشعر الفلسطيني في ألف عام" 6، إذ يعدّ الكتاب عملاً مهمّاً في ترسيخ الجذور الثقافيّة للشاعر والكاتب والأديب الفلسطيني، هذه الجذور الممتدّة في التاريخ لأكثر من ألف عام، وقد تجسّدت في شعر ما يزيد عن خمسين شاعراً وشاعرة. وثانياً ما ألّفه الكتّاب لرصد حركة الشعر المعاصر في أدب الثورة الفلسطينيّة، ككتاب "ديوان الوطن المحتلّ" الذي جمعه وقدّم له بمقدّمة تحليليّة مسهبة الشاعر يوسف الخطيب 7. و"موسوعة الأدب الفلسطيني

المعاصر"8 للشاعرة والباحثة الفلسطينيّة سلمى الخضراء الجيوسي.

كما أنّ فكرة "الأنثولوجيا" لم تغب عن بال غسان كنفاني حيث ضمّن مجموعة من قصائد شعراء المقاومة الفلسطينيّة في الفصل الثالث من كتابيه "أدب المقاومة في فلسطين المحتلّة (1948-1966)"9 و"الأدب الفلسطيني تحت الاحتلال (1948-1968)" 10.

ثم شهدت حركة التأليف مجموعة من الكتب التي نحت منحى جمع القصائد أو النصوص الأدبيّة السرديّة؛ القصّة القصيرة أو المسرحيّة التي تدور حول هدف معيّن، أو موضوع واحد من موضوعات الشعر عالميّاً 11 وعربيّاً وفلسطينيّاً؛ و"ديوان الشهيد" الذي جمع فيه محرّره12 مجموعة من القصائد التي قيلت في مجزرة كفر قاسم 13، وديوان الشهيد محمّد الدرّة في ثلاثة أجزاء الذي أعدّه وحرّره كلّ من عدنان الجابر وماجد الحكواتي 14، وكتاب "شعر الانتفاضة" الذي جمعه وقدّم دراسة له أ.د. عادل أبو عمشة 15، وكتاب "القدس في عيون الشعراء" للدكتور محمّد قجّة 16، وكتاب "مختارات من شعر المقاومة الفلسطينيّة في الدّاخل 48" 17 أعدّه وقدّم له الشاعر سامي مهنّا. وكتاب "لا تعجبْ... زعترُنا أخضر" 18 الذي جمع بين دفتيه مجموعة قصائد قيلت في مجزرة تل الزعتر 19 .

الحرب على غزّة وشعريّتها:

ساهمت الحروب على غزّة لأنْ تصبح- يا للمفارقة -وحياً شعريّاً، ودافعاً للكتابة وموضوعاً له، وربّما ساعدت على ولادة كتّاب وشعراء كثيرين، أو سرّعت من إنضاجهم فنيّاً، ففي الحرب والحصار، ينضج كلّ شيء سريعاً على ما يبدو؛ الإنسان واللغة والأشياء كذلك، وكانت الحروب على غزّة والأوضاع الإنسانيّة والسياسيّة سبباً مباشراً في صدور أعمال أدبيّة متنوّعة من أمثال رواية "أعراس آمنة"20 وديوان "مرايا الملائكة"21 لإبراهيم نصر الله، وكتاب "في الحرب بعيداً عن الحرب"22 وكتاب "عن أصدقائي الشهداء"23 لخالد جمعة، وكتاب "يوميّات امرأة محاصرة"24 وكتاب "أن تبقى حيّاً في غزّة- يوميّات العدوان على غزّة 2021"25 للكاتبة سما حسن، وديوان "مزاج غزّة العاصف"26 لكاتب هذه السطور، وغيرها الكثير، وإنّما أشرت إلى أثر الحرب على غزّة في كتابات الكتّاب سواء أكانوا يعيشون في القطاع المحاصر أم لا. وسواء أكانوا غزّيّين أم لا، يعيشون داخل فلسطين أو خارجها.

إذاً فثمّة كتابات كثيرة تناولت تلك الحروب، وأوجاعها النفسيّة، وكتابات

أخرى تناولت الصمود وأبجديّاته، وكلا النوعين من الكتابة صادق وعفوي وضروري، ففي حين شكّلت مختارات الدكتور أسامة الأشقر "ديوان الفرقان"27 ذاكرة خاصّة لشعر الحرب والتغنّي بالبطولات والشهداء ومجد غزّة، شارك في صنعها (198) شاعراً وشاعرة عربيّاً وفلسطينيّاً، يجد القارئ أن كتاب "غزّة أرض القصيدة- أنطولوجيا شعريّة"28 ينحو منحىً آخر أكثر توغّلاً في الذات الإنسانيّة التي تشرّبت الأوجاع، وكان لها أكثر من صورة وذكرى وحادثة مع الموت والدمار والوحدة، واقتصرت على شعراء غزّة وشاعراتها.

غزّة أرض القصيدة وتعبيراتها البلاغية عن المأساة:

في مجموعة "غزّة أرض القصيدة" ثمّة حالة نفسيّة مرهقة يعاني منها سبعة عشر شاعراً وشاعرة، وهذا ليس استنتاجاً مذهلاً، بل إنّه هو الوضع الطبيعي الذي ينتجه وضع غير طبيعي. فالحرب غير الطبيعيّة وغير الإنسانيّة سيكون مآلها الطبيعي في الشعر الإرهاق والتعب والكفر بكلّ المسلّمات وفقدان الثقة بكلّ هذا العالم. ومن الجدير ذكره أنّ للشاعرات حضوراً بارزاً في هذه "الأنثولوجيا"؛ إذ وجد ثمانٍ وعشرون نصّاً لعشر شاعرات، وخمسة عشر نصّاً للسبعة الآخرين من الشعراء. وغلب على القصائد الإيقاع الهادئ والاستبطان النفسي عبر نصوص غلبت عليها قصيدة النثر 29.

هذه الحرب التي أصبحت على ما يبدو في غزّة "سياقاً طبيعيّاً"، لأن غزّة- أصلاً- تعيش وضعاً غير طبيعي. أو أنّه من الطبيعي والعادي جدّاً أن تكون هذه هي حالتها، فقد ألفت الحرب وألفتها حتّى لم تعد تعرف ما معنى السلام والهدوء، ففي غزّة تنتهي حرب، ليتمّ الاستعداد لأخرى، ليس مع العدوّ فقط، بل ثمّة معارك أخرى، بعضها تخلّفها الحرب ذاتها، وبعضها الآخر يولد من الذات المهشّمة التي تشظّت في الحرب وما بعدها. آلام تتكاثر، وأمنيات تموت، وأحلام لم يعد لها وجود. تقول ضحى الكحلوت في نص "صور مع الحرب:"

"وقْف إطلاق النار، خروج من الحرب، دخول في أخرى، فالحرب تعبرنا وفي الداخل تجد أختاً، من نار واحدة، لم تضع أوزارها، فلم تخرج منّا". (ص140)

هذه صور حقيقيّة، وليست مجازيّة في غزّة، وليست لغة إنشائيّة تعاطفيّة مع ما يحدث، هذه الصور تتسلّل إلى القصائد وإلى النصوص خارجة من معاملها النفسيّة الذاتيّة، هذه المعامل التي ترى الحرب أكبر من قدر عبثي، لا نستطيع مواجهته.

قدر يضع كلّ شيء موضع مساءلة، من منظومة القيم والعقائد إلى أتفه التصرّفات البشريّة.

ليس مستغرباً- والحالة هذه التي يعيشها الشعراء، وكلّ سكّان قطاع غزّة المحاصرين أمداً طويلاً، والمهدّدين بالطائرات أبداً لا ينتهي- أن يصبح كلّ شيء عقيماً فعلاً، هذا ما تعبّر عنه نصوص هذه المجموعة بامتياز، إلى درجة فقدان أيّ بارقة من أمل.

يبدو في هذه النصوص أنّ الحرب قادرة على إعادة الحياة إلى منشئها الأوّل وإلى أسئلتها الأولى، حيث سؤال الوجود أصبح سؤالاً محوريّاً، فمن نجا من موت الحرب قد نجا بأعجوبة، فكلّ من هو داخل أسوار القطاع المحاصر أصبح فريسة محتملة لوحش الموت الذي يختار مجموعته البشريّة المتعدّدة الأعمار والأجناس، ويؤجّل الباقي لحرب قادمة. فالموت قادم، وهو وحده الذي "لا يموت"، كما جاء في خاتمة نص الشاعر محمّد شقشقة "وحي ثمل" (ص102).

لا يركض هؤلاء الشعراء نحو الصورة البلاغيّة المعدّة على مهل وبصيرة ووحي شاعر يبحث عن الجماليات الناقصة، فبلاغة الحرب وحدها كفيلة بتعبئة النصوص بشعريّة مختلفة وشاعريّة خاصّة؛ شاعريّة الموت والحرب والانتظار، وكلّ تلك الصور الشعريّة الطازجة التي ولدت في "أرض القصيدة" هي معانٍ نفسيّة في "أرض غزّة" وفي "نفس الشاعر"، فاللغة التي أصبحت منفذاً وملجأ متاحاً وأخيراً محمّلة بالمعنى المكثّف الذي ولد على هيأة صورة شعريّة هي نفسها المعنى، ولا يمكن أن يكون للمعنى تصوّر خارج بنيتها اللغويّة والذهنيّة، بهذه الصورة يصبح التعبير عن المعنى حقيقيّا لوصف الأوضاع الكثيفة الغرابة في غزّة:

"في رثاء المواعيد الضالّة

تتناثر الألسنة حطام فخّار

يهيّج الانكسار على التوق

ضائعة الأوصاف في رحيل الصور". (ص56)

فلا يمكن للمتلقّي- مثلاً- أن يفهم أبعاد هذه الصورة القاتمة، إذا لم يكن يعرف أوضاع غزّة في حالتيها: الحرب الدائمة والسلام المؤقّت.

بهذه الآليّة تعبّر الشاعرة ضحى الكحلوت في نصّ "خمسة وستون" عن الأطفال الشهداء الذين كانوا ضحايا الحرب الأخيرة، وعددهم (67) طفلاً، فهم ليسوا أرقاماً، وإنّما "وجوه حكايا"، ومن الخطأ البشري الفادح أن نقف عند الرقم

وحسب، لتصوير المأساة برهبتها الجمعيّة، فوراء كلّ رقم وجه وحكاية، بل وراء كلّ قصةٍ طفل من لحم ودم، مقتول الأحلام، قد صادرت الحرب مستقبله، ووضعت له حدّاً بقسوة كبيرة، لتصل إلى قولها: "لم يكونوا رقماً، كانت لهم أسماء وعيون وشهادة ميلاد في بداية نموّها، كان لهم ما لم يكن لنا". (ص142)

ربّما في هذا السياق من انهيار الثقة بكلّ ما هو حولنا، تبدو صورة الربّ مغايرة، لأنّ الحرب أكثر حضوراً من هذا الربّ، ولذلك تهمس الشاعرة "أمل أبو قمر" في نصّ "حليب مرّ" قائلة :

"أنا لا أومن بالربّ كما أومن بمضاجعة الحرب بعد كلّ هزيمة

لا أرى الربّ لكنّني أرى الجثث دائماً". (ص20)

هذه هي النتيجة الطبيعيّة- ربّما- في حالة مثل غزّة، حتّى ليبدو سؤال: "لماذا لا ينقذنا الله؟" ليس ساذجاً طفوليّاً. هذه المسألة عن حضور الربّ تحضر أيضاً في نصّ ضحى الكحلوت "صور مع الحرب": "الأصوات محمّلة بالعتاب، نسأل الآلهة وما بعدها، الأصوات أسئلة تجول كلّ الوقت". (ص139) والشاعر "أدهم العقّاد " يخاطب الله في نصّ "عدني يا أناي أو عد إليّ:"

"الله يا خاطري المكسور يا دعائي المتحجّر يا جحيمي الرطب

أطعمنا بارود وردياً غير متفجّر، اسقنا من غيث أولئك

القدامى الذين لم يصل إليهم نبيّ أو صحابيّ يحمل تحذيراً

بين ساعديه". (ص31)

ولم يتوقّف عند هذا الخطاب الذي يحمل مفارقات موجعة، بل يخاطب الله طالباً معجزة: "أرني معجزة حقيقيّة كي نخلع الحزن عند الباب ونصلّي للنجاة

كمن يقف أمام البحر" (ص32)

حضور "الربّ" لا يقتصر على وجع الحرب والطفولة، بل ثمّة ألم يعتصر حياة النساء. ففي نصّ الشاعرة إيلينا أحمد "لنرقص في خلوة الصدف" تتوقف عند معاناة النساء الباحثات عن بعض معاني الحياة، كحقّ طبيعي لهنّ:

"حين تصرخ الإناث شهوة

هل يخجل الربّ من وحدتهنّ

فيشيح بوجهه كي يمارسن عادة التجلية

دون مداراة أعينهنّ عنه وهو هناك

هل تنتفض الجدران بالآه لكي يعرف الإله

أنّه أبدع في خلقه حين سواه شهوانيّاً" (ص125)

هذه الصورة المقتطعة من سياق الحياة الطبيعيّة، قد يجدها القارئ في أيّ مكان في العالم، فتأخذ بعداً إنسانيّاً خالصاً مرتبطاً بأوجاع الحياة الطبيعيّة. هذا المعنى الأوليّ للتلقّي سيكون محمّلاً بمعنىً إضافيٍّ عندما يدرك أنّ الصورة قادمة من قلب الحياة في غزّة. فالوحدة تفرض نفسها على النساء في الحرب، إذ يبقين وحدهنّ، فالرجال هناك، حيث الحرب التي تتربص بهم، وأغلب الظنّ أنّهم لن يعودوا إلّا "شهداء". وهذا المعنى أيضاً قد تشترك فيه نساء غزّة مع نساء المحاربين حول العالم أيضاً، لكنّ ثمّة وضعاً آخر لمعاناة النساء في غزّة، حيث الحياة السياسيّة التي تفرض قيوداً أخرى مضاعفة على النساء، فإن انتهت الحرب، فالمسألة لن تختلف كثيراً عمّا كانت خلال الحرب .

وفي نصّ آخر بعنوان: "أغيّر الأسماء إكراماً للتواريخ" لإيلينا أحمد يعود قلق السؤال حول أوضاع النساء في غزّة :

"فكيف أكون واحدة

وأقبل أن أظلّ رقماً ثانياً

وأنا التي تجاهد كي تصلّح مسار خطاياها العشر

دون المساس بإحدى عشرة مصيبة تسرّها في نفسها" (ص136)

ولا يبتعد نص الشاعرة وسام الطويل "أقطّع البرتقال مع الأرق" عن هذه الأجواء النفسيّة القاسية الغارقة في إحساس الوحدة:

غرفة منسيّة وصغيرة

أريد استعادة كلّ ما يخطو على عيني

أشياء تذكاريّة تطفو لحظة وتغرق

مرآة مربّعة لا يظهر منها

غير جسدي الغريب وشعري الليلي

حتّى صارت عظامي أعمدة للغرفة" (ص157)

لن تكون الصورة مجرّد صورة بلاغيّة شعريّة متقنة في هذه النصوص، إنّها جزء نفسي أصيل من المعنى؛ إذ لا يتحقق المعنى دون معالم هذه الصورة التي تجسدت بكثافة بتعبير لافت: "حتّى صارت عظامي أعمدة للغرفة."

تدفع الحرب الواقعين فيها للبحث عن مخرج، هذا المخرج الذي له أبعاد نفسيّة ذاتيّة جدّاً منطلقاً من رحم الأوضاع غير السويّة إطلاقاً. من أجل ذلك تبحث الشاعرة هبة صبري عن مخرجها الخاصّ

بنشوة خاصّة في الإقبال على "الماريجوانا"، إذ تصنع انتشاءها المحض:

"نخب المارايجوانا الطازجة

والانتشاء المحض

الذي تقوم عليه الآن

حياة كاملة

سقطت في الفراغ

ولم يلتقطها أحد" (ص84)

هذا الانتشاء الذي وقعت تحت تأثيره الشاعرة يؤهّلها لترى العالم "بطريقة مسلّية"، فلا تتوانى عن تسديد "نكتها" في وجهه:

نكتة

جديرة لنتذكره بها

فلترفعوا كؤوسكم

وإصبعكم الأوسط

لا تكترثوا لشيء

إنّه وقته الآن تماماً

فننتشي معاً مرّة واحدة. (ص84-85)

صورة من الاحتجاج الذاتي المحمّل بالسخرية المُرة، هذه السخرية التي وُظفت في سياق القصيدة للتعبير عن الحالة النفسيّة التي وصلت إليها الشاعرة؛ حالة من عدم الاكتراث بأيّ شيء. بل تواصل الشاعرة رسم طقوس هذه البلادة، متحرّرة من كلّ قيمة قد يدّعي هذا العالم الصامت أنّه يحترمها:

ولنرقص، عاريين تماماً

من دون خوف

لينظر لنا الإله مبتسماً ويقول:

"كما خلقتكم أوّل مرّة". (ص85)

أمام هذه السخرية السوداء، وهذا الرفض الواضح العنيف لما آلت إليه الأوضاع لم تجد الشاعرة بُدّاً من أن تقول بكلّ صراحة:

"فلتحيا الماريجوانا

التي التقطتني حين لم يلتقطني أحد

وأباحت لي الرغبة

حين لم يرغبني أحد" (ص85-86)

بهذه الكيفيّات التعبيريّة يجسّد شعراء غزّة الشباب الذين اكتووا بنار الحروب كلّها، وشاهدوا أوجاعها، أربع حروب نشأ في فظائعها هؤلاء الشعراء والشاعرات السبعة عشر كانت كفيلة بتشكيل وعيهم بناء عليها وعلى مخلّفاتها النفسيّة

القاسية، فهم من جيل لم يعرف غزّة المستقرّة ذات الابتهاج والنوارس والشواطئ الجميلة والموسيقى والحفلات الصاخبة والأمسيات السينمائيّة والمسرحيّة، هم نَبْتٌ خرج في ظلّ الحصار والحرب والفرقة والانقسام، فليس بمقدورهم ألّا يكونوا إلّا صورة لهذا الوجع المستقرّ الذي أوحى له أن يقول أدهم العقّاد في نصّ بعنوان "في العالم الآخر:"

سأعلّم أحد أبنائي النجارة

وأساعده في صناعة تابوتٍ

من نبتة "المشروم" ونضعه داخله

لنحوله من قابض أرواح

لبائع أفيون في شوارع رام الله". (ص34)

لا شكّ في أنّ هذه "الأنثولوجيا" الشعريّة ذات الملامح السرديّة في التعبير عن الحرب، تؤكّد أنّ الحرب مؤلمة، لكنّ ما بعد الحرب هو الأشدّ ألماً وقسوة، ولعلّه هو الأكثر تسرّباً في النفس ليثير شهيّة السؤال، وقلق البحث عن مخرج من هذا المأزق الوجودي المهدّد دائماً بالانتقاض والانتقاص والمحو، ليشكّل الشعر والأدب عموماً ردا آخر أو بديلاً موازياً، ليبني غزّة، بوصفها مدينة تعيش أوجاعها في نصوص الشعراء والكتاب، وهي تحاول الانعتاق والتحرّر من كلّ هذا العبث الذي يهدّد وجودها ويخنق صوتها ويمنع عنها البحر والشمس، فلا تبحث عنه ولا تجده إلّا في متخيّل اللغة شعراً ونثراً، ويا لها من مفارقة حادّة، لكنّها ستظلّ مدينة حاملة للحياة، ولا بدّ لها من هذا المعنى لتشعر بأهمّيّة وجودها .

لم تكن غزّة في هذه المختارات مثالاً لديستوبيا يناصبها الشعراء العداء، ويتمنّوْن زوالها، وإنّما كانت مكاناً وثيراً، يعاني من "الاغتصاب" السياسي، في حالتيه؛ الحرب والسلم. فاتّجه الشعر لانتقاد هذه الأوضاع غير الإنسانيّة وحسب، وهذا ما يوحي به العنوان "غزّة أرض القصيدة" المفتوح في تأويله على المعنى الإيجابي، مهما كانت تلك الأوضاع مرجومة وسلبيّة. إذ تحكم العنوان ذهنيّة جماليّة مختزنة في مفهوم "القصيدة" المضاف إليها غزّة بوصفها أرضاً، ومكاناً صالحاً للعيش على الرغم من كلّ ذلك الألم المسكون في أرواح الشعراء وقصائدهم. إنّهم يتوقون لأنْ يعيشوا في غزّة الواقع الجميل المتمتّع بالحرّيّة الداخليّة ومفتوح الأفق على العالم أجمع، فلا حصار ولا حرب، وهذا أقلّ ما يجب أن يكون.

لعلّ غلبة الشاعرات وأفكارهنّ في قصائد هذه المجموعة سيمنحها أهمّيّة خاصّة، لما لوجع النساء في الحرب وما بعد الحرب

من بلاغة خاصّة وشعريّة عالية التوهّج، فهنّ أكثر من يدفع فاتورة الحرب؛ دما ودموعاً وحزناً. هذا الوجع القليل الحضور في الشعر، الهارب نحو السرد الخالص والنثر الروائي، وهو ما أضفى أيضاً على تلك القصائد بعداً نفسيّاً، وإيقاعاً هادئاً، وسرديّة لم تفسد شاعريّته، سرديّة تهتمّ برسم معالم بعض المشاهد، سواء أكانت مشاهد نفسيّة أو مشاهدات من واقع الحياة ذاتها. هذه السرديّة هي التي تؤهّل الشعر أكثر ليكون أقرب إلى المتلقّي الباحث عن صورة الإنسان المنقوع في الألم من رأسه حتّى أخمص قدميه. "ويكسر الحصار الهمجي عن طريق الارتقاء بتعبيراته إلى مصافّ كونيّة" 30، على حدّ وصف الناقد السوري صبحي حديدي لشعر هؤلاء الشعراء الغزّيّين.

الهوامش:

1 يُنظر في تعريف الأنطولوجيا: معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص368. وللتوسّع في التعريف ودلالاته واشتقاقه يُنظر: الأنطولوجيا في المصطلح والمفهوم والاستعمال الفلسفي، ياسين حسين علوان الويسي، العتبة العباسيّة المقدّسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان، ط1، 2019، ص12-13.

2 من ذلك على سبيل المثال ما قامت به الباحثة والشاعرة مريم العطار، في كتابيها "أنطولوجيا الشعر الفارسي الحديث"، دار المدى، بغدا، 2016، و"أنطولوجيا الشعر الأفغاني الحديث"، دار المدى، بغداد، 2021.

3 يُنظر: معجم اللغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ج1، ص127.

4 كما حدث مثلاً مع مصطلح "رومانتيكيّة" المعرّب أحياناً عند المترجمين "رومانطيقيّة."

5 ينظر: الموسوعة الحرّة (الويكيبيديا) من خلال الرابط الآتي .https://2u.pw/XyiXh :

6 صدر الكتاب عن دار عربسك في حيفا، 1990، ويتناول الشعراء من عام 908م وحتى 1936م.

7 صدر الكتاب عن دار فلسطين للتأليف والترجمة، 1968.

8 صدرت الموسوعة عن المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، 1997، وجاءت في جزأين، أوّلهما للشعر، وأمّا الآخر فللفنون النثريّة المختلفة.

9 صدر الكتاب في طبعته الأولى عام 1966.

10 صدر الكتاب في طبعته الأولى عام 1968. وطبع الكتابان عدّة طبعات.

11 أشير على سبيل المثال إلى مشروع "مموريام" حيث ترجمت الشاعرة الجزائرية د. حنين عمر مجموعة من القصائد الفرنسيّة، وجاء المشروع في ثلاثة كتب: الأوّل ضمّ (100) قصيدة فرنسيّة

لشعراء فرنسيّين، والثاني اشتمل على قصائد لـ (100) شاعرة فرنسيّة، وأمّا الثالث فضمّ قصائد لـ (100) شاعر فرنسي. (الويكيبيديا).

12 صدر الكتاب عن المجلس المحلي لبلدة كفر قاسم، 1999، ولم يظهر على الغلاف من قام بتحرير الكتاب.

13 مجزرة نفّذها ما يعرف بحرس الحدود "الإسرائيلي" في 29 أكتوبر 1956 ضدّ المواطنين الفلسطينيّين في قرية كفر قاسم راح ضحيّتها 49 مواطناً فلسطينيّاً، منهم (23) دون سن (18). (الويكيبيديا)

14 صدر الديوان عن مؤسّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2001.

15 صدر الكتاب عن اتّحاد الكتّاب الفلسطينيّين في الضفّة والقطاع، القدس، 1991.

16 صدر الكتاب عن وزارة الثقافة والفنون والتراث في دولة قطر، 2012.

17 صدر الكتاب عن الاتّحاد العامّ للكتّاب واالأدباء الفلسطينيّين، رام الله، 2016.

18 صدر الكتاب في حيفا في الذكرى الخامسة والأربعين للمجزرة (12 آب 2021)، جمع وتحرير: حسن عبّادي وفراس حج محمّد.

19 وقعت المجزرة في مخيّم (تل الزعتر) أحد مخيّمات اللجوء الفلسطيني في لبنان يوم 12 أغسطس 1976، واستمرّت حتّى 14 أغسطس، وراح ضحيّتها 3000 شخصاً.

20 صدرت الرواية في طبعتها الأولى عام 2004، وطبعت عدّة طبعات.

21 سيرة متخيّلة للشهيدة الفلسطينيّة الطفلة إيمان حجّو، وصدرت الطبعة الأولى منه في 2001.

22 صدر الكتاب بأربع لغات؛ العربيّة، والإنجليزيّة، والفرنسيّة، والبرنغاليّة، صدر عن وزارة الثقافة الفلسطينيّة، عام 2016.

23 صدر عام 2019 عن الدار الأهليّة للطباعة والنشر، عمّان.

24 صدر عام 2012 عن دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس.

25 صدر عام 2021 عن دار البيروني للنشر والتوزيع، القاهرة.

26 صدر عام 2014، عن جمعية الزيزفونة لتنمية ثقافة الطفل، رام الله.

27 صدر الكتاب بعد حرب غزّة 2009، عن مؤسّسة فلسطين للثقافة في دمشق.

28 صدر الكتاب بعد حرب غزّة 2021، عن المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر في بيروت، اختيار وتقديم: محمّد تيسير.

29 وجد نصّ في المجموعة موزوناً مقفّىً على البحر المتقارب بعنوان "خيمة أخيرة". (يُنظر: ص109-112).

30 من كلمة على الغلاف الأخير من الكتاب.